

إدمان الأطفال مواقع التواصل الاجتماعي

16 جمادي الأولي 1447هـ - 7 نوفمبر 2025م

إعداد: رئيس التحرير د. أحمد رمضان

الموضوع

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعم ظاهرة وباطنة، وأسبغ علينا فضلاً ورحمةً، نحمده على آلائه ونستهديه لسبيل شكره ورضوانه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، معطي النعم وكاشف النقم، ونشهد أن سيدنا محمداً عبداً لله ورسوله، صفوة خلقه وخير دعاته، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. أمّا بعد:

عناصر الخطبة:

العنصر الأول: نعم الله بين الشكر والإضاعة...نعمة الأبناء نموذجًا

العنصر الثاني: أسباب الإدمان وبيئته الانزلاق

العنصر الثالث: العلاج العملي والبديل الإيماني

أيها الأحبة في الله، من أعظم النعم التي غفل عنها كثير من الناس نعمة الأبناء، تلك الزهرة التي تفتح في ربوع البيوت، وتزين محافل الحياة. وقد جعلهم الله زينةً وامتحانًا، فقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46].

ومن عجب الأيام أن هذه النعمة التي كان الناس يرونها مبعث السرور، أصبحت في كثير من البيوت مصدر همٍّ ووجع، بسبب إدمان الأبناء لوسائل التواصل الاجتماعي، وانعزالهم عن عالم القيم والعبادة، وانغماسهم في عالم افتراضي يغرقهم في الغفلة، ويسرق أعمارهم في صمت وبطء.

فإذا نظرنا إلى هذه الظاهرة بعين البصيرة، علمنا أنها ليست مسألة تقنية فحسب، بل مسألة إيمان وشكر وأمانة، وهنا يبدأ بصير المؤمن بالتفكير في المعنى الكبير للنعمة.

العنصر الأول: نعم الله بين الشكر والإضاعة...نعمة الأبناء نموذجًا

أيها الإخوة الكرام، إن النعم كثيرة لا تحصى، وكل نعمة منها تطلب شكرًا وحفاظًا، وإلا تحولت من مجد إلى محنة، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: 53]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8]. فالنعمة ليست فقط ما نتمتع به، بل ما نوّدي حقّه ونصونه عن الإضاعة.

إن من أعظم هذه النعم نعمة الأبناء، تلك الزهرة التي تفتح في رياض البيوت، وتبسم الحياة في وجوه الآباء، ولكنها زينة مسؤول عنها، كما قال النبي ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: ... وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا" (متفق عليه البخاري (2409)، مسلم (1829)).

فإذا أضعناها بالإهمال، أو أسلمناها لغرور الشبكات، فقد خُنّا الأمانة وكفرنا النعمة، وكما قال الحسن البصري: "إِنَّ اللَّهَ لِيُمَتِّعَ بِالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ، فَإِذَا لَمْ يُشْكَرْ قَلْبُهَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا". الشكر لابن أبي الدنيا ص 11. أيها الأحبة، ليس شكر الأبناء بالمال واللعب، ولا بالدلال والترّف، بل بالتربية والرعاية والقُدوة. وما أجمل ما قال ابن القيم رحمه الله في معنى ذلك: "وكم ممّن شقي ولده وفسد، من قبل والده، وأهمّله وترك تأديبه، فترى ولده لا ينفعه الله به، ويعضُّ أصابع الندم على تفريطه» (تحفة المودود، ص 229). إن النعمة مسؤولية، ومن شكرها أن نقدّم لها الحفاظ والتوجيه، وأن نحمي أبنائنا من بحر الشبكات الذي لا قاع له، ولا ساحل، ففيه كلُّ خيرٍ وشرٍّ، والعاقِلُ من هداه الله لسبيل الخير فيه. حكّت إحدى الأمهات بنبرة حزنٍ ودمعٍ حارٍّ: "كان ولدي حافظًا لسُورٍ من القرآن، طيبًا برًّا، حتى أدمنَ هاتفه، فأصبح يقضي الليالي أمام الشاشة، وينامُ عن الصلاة، ويعيشُ في عالمٍ غريبٍ، أناديهِ فلا يردُّ، وأحدّثه فينظرُ في الهواء". قالت: "عرفتُ أنني أضعتُه، وأن هذه النعمة التي كنتُ أفتخرُ بها أصبحت بلاءً بغفلي". إن نعمة الأبناء تُربّى بالشكر وتُحفظُ بالتقوى، ومن أضاعها بالغفلة فقد بدّل النعمة نقمةً، ومن حفظها بالتربية والتوجيه، رزقه الله برّها في الدنيا ودعاءها في الآخرة.

العنصر الثاني: أسباب الإدمان وبيئة الانزلاق

أيها المؤمنون، إذا كانت نعمة الأبناء أمانةً عظيمةً، فإن من تمام حفظها إدراكُ مكانِ الخطرِ التي تُهددها، وفي مقدّمها إدمانُ الأبناء لوسائل التواصل الاجتماعيّ، وهو إدمانٌ لا يسرقُ الوقتَ فحسب، بل يسرقُ العقولَ والقلوبَ، ويُفسدُ فطرةَ النشءِ التي فطرهم الله عليها. لذلك تحوّلت تلك الأجهزة الصغيرة إلى سلاحٍ خفيٍّ يسلبُ الطفولةَ من معناها، ويزرعُ في القلبِ خواءً بدلَ الإيمان والعلم والعاطفة.

أول الأسباب: الفراغ العاطفي في البيوت.

كم من بيتٍ جمعَ الجدرانَ وفقدَ الأرواحَ! يجلسُ الأبُّ على هاتفه، والأمُّ على شاشتها، والأبناء بين أيديهم أجهزةٌ تربّهم بدلَ والديهم، فلا حوارَ ولا دفءَ أُسرِيًّا.

وقد قال النبي ﷺ: "كفى بالمرء إثماً أن يضيعَ مَنْ يَعُولُ" (المستدرک علی الصحیحین (3525) وابن حبان 4240، أبو داود (1692)، وأحمد (6495) صحيح)، فالضياعُ هنا لا يقتصرُ على النفقة، بل يشملُ ضياعَ القلوبِ والتربية. وثاني الأسباب: القدوة الرقمية الفاسدة.

حين يرى الطفلُ والده أو أمّه منشغلين دائماً بالهاتف، ينشأ على أن هذا السلوكُ طبيعيٌّ، فيقلّده بلا وعيٍ، ويظنُّ أن الحياة بلا شاشةٍ لا معنى لها.

وقد قالوا في الحكمة: "الولدُ سرٌّ من أسرارِ أبيه، إن صلحَ الأبُّ استقامَ الابنُ، وإن غفلَ الأبُّ ضاعَ الابنُ".

وثالثُ الأسباب: البيئة المفتوحة بلا ضوابطٍ ولا رقابةٍ.

فاليومَ يدخلُ إلى بيوتنا ضيوفٌ لا نعرفُهم، عبرَ مقاطعٍ وصورٍ وتطبيقاتٍ تخاطبُ العقولَ وتؤثرُ في النفوسِ.

وهنا يأتي قولُ الله تعالى تحذيرًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: 6]. فالحماية هنا ليست جسديةً فحسب، بل فكريةً وإيمانيةً أيضًا.

ورابعُ الأسباب: ضعفُ الوعي بخطر المحتوى الخفي والموجّه. كم من لعبةٍ أو فيديو يظهرُ في صورةِ التسليةِ البريئة، لكنه يزرعُ الإلحادَ، أو الانحلالَ، أو العدوانيةَ في قلوبِ الناشئة!

وربما يجلسُ الوالدانِ مطمئنَين ظانَّين أن أبناءَهُم يلعبون، وهم في الحقيقة يُعادُ تشكيلُ عقولِهِم وأخلاقِهِم. إن الإدمانَ لم يأتِ من فراغٍ، بل من غيابِ الإشرافِ الأسريِّ، وانكسارِ جسورِ التواصلِ، وتحوُّلِ الهواتفِ إلى مربينَ بدلاءَ عن الآباءِ والأمهاتِ.

ولذلك قالَ الحافظُ ابنُ الجوزي: "الغفلةُ عن الأولادِ سببُ بلاءِهِم، والتقصيرُ في تأديبِهِم ثمرةٌ نديمٍ في الكبر". البر والصلة، ص85. إننا إن لم ندركُ أسبابَ الانزلاقِ، فلن نُحسنَ العلاجَ.

وإن غابت القدوةُ والرقابةُ والمحبةُ، دخلَ الشيطانُ من أبوابِ الإهمالِ، فاستعبدَ قلوبَ الناشئةِ بلذّةِ الزيفِ. فيا عبادَ الله، من أرادَ أن يُحصِنَ أبناءَهُ من الإدمانِ، فليُحصِنَ قلبَهُ بالتقوى، وبيتَهُ بالحوارِ، وأهلَهُ بالمحبةِ، وليتذكَّرُ أن التربيةَ عبادةٌ، وأن اللهَ سائلُهُ عن رعيتهِ يومَ يلقاهُ.

العنصر الثالث: العلاج العملي والبديل الإيماني

أيها المؤمنون، بعد أن تبَيَّنَ لنا خطرُ إدمانِ الأطفالِ لوسائلِ التواصلِ الاجتماعيِّ، ووعينا بأسبابِ الانزلاقِ إلى هذا المستنقعِ، لا بدَّ أن ننقلَ إلى طريقِ العلاجِ، إلى النورِ الذي يُنقِذُ أبناءنا من الغرقِ في الظلامِ. فالإسلامُ لا يكتفي بالتحذيرِ، بل يرسمُ طريقَ الإصلاحِ والتربيةِ، ليقِيمَ حياةً تقومُ على التوازنِ بينَ الروحِ والجسدِ، والعلمِ والإيمانِ، والمتعةِ المباحةِ والمسؤوليةِ الهادفةِ. أولاً: بناءُ الإيمانِ في القلبِ قبلَ مراقبةِ السلوكِ.

إن القلبَ إذا امتلأَ بمحبةِ الله خشيَ معصيته، وإذا عرفَ العبدُ أن اللهَ مَطَّلَعٌ عليه، خافَ أن يراهُ على ما يكرهُ. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19].

فلا يمكنُ أن نُصلحَ أبناءنا بالمراقبةِ الظاهرةِ فقط، بل لا بدَّ من تربيةِ الضميرِ الحيِّ، وبناءِ المهابةِ من الله في قلوبِهِم. ثانياً: صناعةُ البديلِ الإيمانيِّ والتربويِّ.

إن منعَ الأبناءِ من الوسائلِ دونِ بديلٍ نافعٍ يجعلُ المنعَ مؤقتاً، والفراعَ قاتلاً. فينبغي أن نملاً حياتَهُم بالأنشطةِ الهادفةِ: حفظُ القرآنِ، والرياضةِ المفيدةِ، والعملِ التطوعيِّ، وتربيةِ الروحِ على المعانيِ الإيمانيةِ الجميلةِ.

قال النبي ﷺ: "اغتنمَ خمساً قبلَ خمسٍ: شبَابَكَ قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِنَاكَ قبلَ فَقْرِكَ،

وفراغَكَ قبلَ شُغْلِكَ، وحياتَكَ قبلَ موتِكَ» (رواه الحاكم (7846)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (10248)).

فهذه الوصيةُ هي منهجُ استثمارِ العمرِ قبلَ أن تُسرِقَهُ الشاشاتُ.

ثالثًا: إشعال جذوة الحوار الأسري والمودة.

إنَّ من أهمِّ مفاتيح الوقاية أن يتحوَّل البيت إلى سكنٍ حقيقيٍّ، يضمُّ القلوب لا الجدران. ولقد كان رسولُ الله ﷺ يمازحُ الأطفالَ، ويُحادثُهم، ويُشعرُهم بمكانتهم، فكان بذلك يربِّي فيهم الثقةَ والعاطفةَ. قال أنسُ رضي الله عنه: **"إن كان النبيُّ ليُخالطُنَا، حتى يقولَ لأخٍ لي صغيرٍ: يا أبا عُمَيْرٍ! ما فعل النُّعَيْرُ"** (البخاري 6129)، ومسلم (2150) والترمذي (1989)، وابن ماجه (3720)، والنسائي في ((الكبرى)) (10093). تلك اللطافةُ النبويةُ صنعت أبناءً قادةً، وأجيالاً مؤمنةً راشدةً.

رابعًا: ضبطُ استخدامِ الوسائلِ وتنظيمُ الوقتِ.

لا يُطلبُ المنعُ الكليُّ، بل التنظيمُ والحكمةُ.

يُحدِّدُ وقتٌ محدَّدٌ لاستخدامِ الهاتفِ، مع مراقبةٍ واعيةٍ من الوالدين، دون قسوةٍ تُولِّد التمردَ، ولا تهاونٍ يُنتجُ الضياعَ.

قال عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنه: **"علِّموا أولادكم السباحةَ والرميَ وركوبَ الخيلِ"**. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (ج 16، ص 456، رقم 45409)، للمتقي الهندي، إحياء علوم الدين (ج 3، ص 87). فالتربيةُ الحقيقيةُ ليست منعًا من الحياة، بل توجيهٌ لها لتكونَ حياةً راشدةً مثمرةً. خامسًا: الدعاءُ والتضرُّعُ.

لأن قلوبَ الأبناءِ بين أصبعين من أصابع الرحمن، يُقلِّبُها كيف يشاءُ.

قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾** [الفرقان: 74]. فادعُ لوليدك كما تدعو لرزقك، بل أشدَّ، فصالحه رزقٌ من أعظم الرزاق.

إنَّ الإدمانَ على الوسائلِ ليس مرضًا في الآلاتِ، بل في القلوبِ التي غفلت عن ذكرِ الله، وفي البيوتِ التي غابت عنها الروحُ، وفي الوالدين حينَ تركوا أبناءَهم لتربيتهما.

فاجعلوا بيوتكم مناراتٍ للقرآنِ، ومجالسَ ذكرٍ، وأوقاتٍ أنسٍ بأهليكم، فإنَّ هذه التربيةُ هي التي تُخرِجُ جيلًا راشدًا يحمي الدينَ والوطنَ والمجتمعَ من الانحرافِ والتطرُّفِ.

اللهمَّ أصلح أبناءنا وبناتنا، واحفظهم من مضلاتِ الفتنِ ما ظهرَ منها وما بطنَ،

اللهمَّ أنبئهم نبأنا حسناً، واجعلهم قُرَّةَ أعينٍ لأبائهم وأمهاتهم،

واحفظ مصرَ من كل سوء يا رب العالمين

المراجع: القرآن الكريم

كتب الحديث: صحيح البخاري، صحيح مسلم، المستدرک للحاكم، سنن أبي داود، وابن ماجه، سنن الترمذي، مسند أحمد. سنن النسائي، شعب الإيمان للبيهقي

إحياء علوم الدين للغزالي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم، الشكر لابن أبي الدنيا، البر والصلة لابن الجوزي.

د. أحمد رمضان